

يتابع حضرته سرد الوقائع من حياة المسيح الموعود عليه السلام عن توكله عليه السلام على الله تعالى. قال حضرته أيده الله تعالى بنصره العزيز إنه عندما كان المسيح الموعود عليه السلام يمرض، لم يكن يعتمد على نوع واحد من العلاج، بل كان يستخدم الأدوية الغربية والشرقية معاً، ويستشير مختلف الأطباء، إلى جانب الدعاء أثناء اتباعه أساليب العلاج المتنوعة.

الفرق بين عامة الناس والأنبياء عند مواجهة الهموم

اقتبس حضرته أيده الله تعالى بنصره العزيز قول المسيح الموعود عليه السلام، الذي أوضح فيه الفرق بين القلق الذي يشعر به الأنبياء والقلق الذي يشعر به عامة الناس.

وأوضح أن القلق أمر يواجهه كل إنسان بحكم طبيعته البشرية، بمن فيهم الأنبياء. فعلى سبيل المثال، شعر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بالقلق أثناء غزوة بدر وقال عليه السلام: "ولكن يكون الأنبياء واثقين جداً بأن الله ﷻ لن يضيعهم أبداً. أما أنا فلو أُلقي بي في النار المضطربة فأؤمن بأني لن أضيع. صحيح أنني سأقلق على أنها نار ولكن ألمي سيبقى قوياً بأني سوف أسمع حالاً نداء ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ بينما يتسم قلق الآخرين بئأس".

التوكل الكامل على الله تعالى والثقة بقدرته

تُظهر هذه الروايات مدى توكل المسيح الموعود عليه السلام على الله تعالى؛ فعندما نفدت الأموال المخصصة لنفقات الجلسة السنوية، باع بعض حُلَي زوجته لتوفير الطعام للضيوف، ولكن عندما نفدت الأموال مرة أخرى، أكد أن هؤلاء ضيوف الله تعالى، وأنه سيتولى أمرهم بنفسه. وفي صباح اليوم التالي، وصلت حوالات مالية من أماكن مختلفة لتغطية نفقات الضيوف. وفي حادثة أخرى، عندما طلب المسؤول عن دار الضيافة مالاً لشراء الدقيق، أخبره المسيح الموعود عليه السلام بأنه لا يملك مالاً، لكن الله تعالى سيتولى الأمر. وبعد قليل، جاء رجل يرتدي ثياباً بالية وقدم له مبلغاً كبيراً من المال، ثم اختفى دون أن يُعثر عليه. وكان المسيح الموعود عليه السلام يقول إنه لا يفرح بكثرة المال أو الأبناء أو الأتباع، بل يفرح لأن إلهه هو القادر المطلق. وأكد أن الله تعالى هو الرازق الحقيقي، وأن من يتوكل عليه بصدق لا يُحرم من الرزق، بل يرزقه الله من حيث لا يحتسب.

كيف يمكن للتوكل على الله أن يُحدث تغييراً كاملاً في الإنسان

قال حضرته أيده الله تعالى بنصره العزيز إنه في إحدى المرات، طلب ابن المسيح الموعود عليه السلام، حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، وكان عمره آنذاك تسع سنوات، من والده أن يقص عليه قصة.

فقال له المسيح الموعود عليه السلام إنه كان هناك ذات مرة رجل مسنٌ في سفر، فمرّ بغابة كان فيها لص يسلب كل من يمر بها. وعندما همّ اللص بسرقة ذلك الرجل المسن، قال له الرجل: «وَيْي السَّمَاءِ رَزَقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ» (الذاريات: ٢٣).

ثم طلب الرجل المسن من اللص أن يتوقف عن السرقة، وأن الله تعالى سيتولى بنفسه توفير الرزق له.

فتأثر اللص بهذا الكلام، وتوقف عن السرقة. وفي نهاية المطاف، بعدما كفَّ عن سرقة الناس، أصبح يمتلك أواني من الفضة والذهب كان يأكل فيها. وبعد مرور بعض الوقت، مرَّ الرجل المسن بالغابة نفسها مرة أخرى. وكان اللص قد أصبح رجلاً صالحاً وتقيّاً، فأخبر الرجل المسن كيف تغيَّر حاله، وطلب منه أن يعلمه آية أخرى من القرآن الكريم. فقال له الرجل المسن: «فَوَزَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ» (الذاريات: ٢٤). وعندما سمع الرجل هذه الآية، تأثر بها تأثراً شديداً، وأصبح أكثر تقوى وصلاًحاً.

ثم أوضح المسيح الموعود عليه السلام لابنه أن هذه هي قوة التوكل على الله، وأن هذا هو الغنى الذي يمكن للإنسان أن يكتسبه بمجرد توكله على الله تعالى. وقال حضرته أيده الله تعالى بنصره العزيز إن بعض الناس يقولون إن الأطفال لا يفهمون مثل هذه الموضوعات، ولكن المسيح الموعود عليه السلام شرح هذا المفهوم لابنه الذي كان يبلغ من العمر تسع سنوات. وهذا يبين أن التوكل على الله تعالى ينبغي أن يُعلَّم للأطفال منذ صغرهم.

قصة رجل وكلب

كان هناك رجل مسنّ كرّس نفسه للدعوة والتبليغ، لكنه اشتد به الجوع، فذهب إلى صديق له وطلب منه الطعام. وفي طريق عودته، تبعه كلب، فأعطاه بعض الطعام، لكن الكلب ظل يتبعه. وعندما عاتبه الرجل، رأى في حالة كشف أن الكلب يذكّره بأنه ظل يحرس المنزل رغم جوعه أياماً، بينما ترك الرجل مهمته في التبليغ بسبب الجوع. فتأثر الرجل بكلامه وأعطاه ما تبقى من الطعام. وعندما عاد إلى منزله، وجد شخصاً ينتظره أمام مائدة عامرة بالطعام.

وكان العبرة من هذه القصة أن التوكل على الله يقتضي الاعتماد على الله وحده. ولا مانع من السعي إلى اتخاذ الأسباب والوسائل، ولكن ما حدث كان اختباراً من الله تعالى لذلك الرجل المسن.

الإنسان الصالح لا يعتمد على أحد سوى الله

أوضح المسيح الموعود عليه السلام أن التقوى والتوكل على الله تعالى هما مفتاح الرزق الحقيقي، وأن الإنسان الذي يتقي الله يرزقه من حيث لا يحتسب، ويغنيه عن الاعتماد على الآخرين. وقد بيّن أن إخلاص الإنسان لله تعالى هو الوصفة التي اتبعها الأنبياء والأولياء والصالحون، وأنه لو وجّه الناس جهودهم إلى معرفة خالق الأسباب بدلاً من الانشغال بالأسباب وحدها، لنالوا ما يطمحون إليه.

وكذلك أوضح المسيح الموعود عليه السلام أن المؤمن ينبغي أن يثق ثقة تامة بأن كلام الله تعالى سيتحقق، وألا يقلق بشأن كيفية تحقيقه، فذلك متروك لله تعالى. وقد تجلّى هذا اليقين في موقفه عندما أضع حضرة الحكيم مولوي نور الدين رضي الله عنه صفحتين من كتابه، إذ لم يغضب، بل اعتذر إليه وأبدى ثقته بأن الله تعالى سيوفقه لكتابة ما هو أفضل منهما.

كما بيّن المسيح الموعود عليه السلام أن تقدم جماعته وتحقيق الوعود الإلهية لا يعتمدان على الجهود البشرية وحدها، بل على فضل الله تعالى وتأنيده. فالله الذي أوجد المحبة بين المؤمنين في الماضي قادر على مواصلة تأييده في الحاضر والمستقبل، وهو قادر على إنجاز ما وعد به مهما بدت الوسائل البشرية محدودة.

كما أكد المسيح الموعود عليه السلام أن التوكل الصادق على الله تعالى، مع الإخلاص والأمانة والصبر والثبات، هو أساس النجاح وتحقيق الأهداف، وأن من يجعل اهتمامه بالدين والآخرة أولويته، يتكفل الله تعالى بأموره الدنيوية.

كما نبّه إلى أن الكوارث والآيات الإلهية ينبغي أن توقظ الناس وتدفعهم إلى إدراك الحقيقة والتعرّف على الله تعالى، لكن كثيراً منهم لا يتعظون بما يحدث، ولا ينتفع بآيات الله إلا المؤمنون، وهم قلة قليلة.

وفي الختام، دعا حضرته أيده الله تعالى بنصره العزيز الله تعالى أن يهدي أهل الدنيا إلى معرفة الحق، وأن يزيد إيمان الذين قبلوا المسيح الموعود عليه السلام ويقينهم، وأن يرفع مستوياتهم في الدعاء والتوكل على الله تعالى.